التربية المثلى للشباب
في ضوء الإسلام

للدكتور حسن الفاتح قريب الله

حرص الإسلام على تربية النَّشء من الذكور والإناث فهيأ لهم ولمَّا يزالوا في بطون أمهاتهم الرعاية التَّامة ، وجعل لميلادهم فرحة في الأُسرة فسنَّ لهم النُّسك[1] أو العقيقة إعلانًا له[2] ، وأوْصى باختيار أحسن الاسماء للأبناء[3] ، وشارك النبي عليه الصلاة والسلام في تسمية بعضهم حيث سمَّى ابنًا لأسماء بنت أبي بكر بعبد الله بن الزبير[4] ، كما وضع إطارًا عامًّا لتسمية المولودين في عصره وبعده ، فقال : إن أحب أسمائكم إلى عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة ؛ وقال : لا تسمين غلامك يسارًا ولا رباحًا ولا نجيحًا ولا أفلح ؛ فإنك تقول : أثمَّ هو ؟ فلا يكون ، فيقول . لا . أما هنَّ أربع ، فلا تريدن عليها[5] .

وأوصى رسول الله ﷺ الأبوين بمساعدة أبنائهم على الاستمرار على الفطرة ، فلا يُهوِّدانهم ، ولا يمجِّسانِهم ولا ينصِّرانهم فقال : كل مولود يولد على الفطرة وإنَّما أبواه يُهوِّدانه ، أو ينصِّرانه ، أو

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثامنة من جلسات المؤتمر المنعقدة يوم الثلاثاء ٩ من شعبان سنة ١٤١٠هـ الموافق ٦ من مارس (آذار) سنة ١٩٩٠ م .

(١) الغزالي : إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٩٢ فما بعدها .

(٢) الفيروزبادي : سفر السعادة ص ٨٦ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) الفيروزبادي : سفر السعادة ص ٨٧ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

(٤) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ج ١ ص ٣٣٣ وسفر السعادة ص ٨٦ .

(٥) الفيروزبادي : سفر السعادة ص ٨٧ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

يمجّسانه[1] وأوصاهم عليه الصلاة والسلام كذلك بتلقين أبنائهم الأذان والإقامة ولمّا يزالوا فى المهد ، وأذّن هو عليه الصلاة والسلام فى أذن الحسن بن على بالصلاة حيث ولدته فاطمة رضى الله عنها[2] .

وسنّ لأمّته جمعاء التحنيك ، فمضغ تمرة ، ثم وضعها فى فم عبد الله بن الزبير وكانت أمّه أسماءُ بنت أبى بكر قد جاءت به إليه قبل أن تُرضعه ، وبذلك كان أول شىءٍ دخل بطن ابنها ريقُ رسول الله ﷺ[3]

مزح الرحمة القلبية عمليًّا بالدين ، فقال : ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا[4] .

وجسّد عليه الصلاة والسلام العطف عمليًّا أمام الصحابة حين سعى لعيادة ابن صغير لبعض بناته ، فتناوله وروحُه تقلقل فى صدره ، وبكى قائلا : إنّما يرحم الله من عباده الرحماء[5] ، وروى أن الحسن رضى الله عنه كان وهو صغير يصير على ظهره عليه الصلاة والسلام وهو ساجد ، فيرفعه رفْعًا خفيفًا ، وكان يقعد فى حِجْر رسول الله ﷺ ، ويلمس لحيته ، ورسول الله يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ، ويقول : اللهم إنّى أُحبُّه فأَحبَّه وأحب من يُحبُّه ، يقولها ثلاث مرات[6] وروى أنه مسح على رأس ابن صغير لابن

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) قال ابن رافع رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أذن فى أذن الحسن بن على حيث ولدته فاطمة بالصلاة سفر السعادة ص ٨٧ والأحياء ج ٢ ص ٦٩ .

(٣) العراقى : الأحياء ج ٢ ص ٧٠ .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .

(٥) عن أسامة بن يزيد قال : كان ابن لبعض بنات رسول الله عليه وسلم يقضى فأرسلت إليه أن يأتيها فأرسل إليها أن لله ما أخذ ، ولله ما أعطى ، وكل شئ عنده إلى أجل مسمى فلتصبر ولتحتسب . فأرسلت إليه فأقسمت عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل ناولوه الصبى وروحه تقلقل فى صدره ففكى فقال له عبادة بن الصامت . ما هذا يارسول لله فقال الرحمة التى جعلها الله فى بنى آدم وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، رواه الشيخان ونقله السيوطى فى كتابه التعال والإطفاء لنار لا تطفى مخطوط صغير بدار الكتب الوطنية بباريس وهو ضمن مجلد كبير رقمه ٢٨٠٠ الورقة ٢٤٠ هذا وقد طبع المخطوط مع غيره تحت عنوان الفتاوى .

(٦) أبو نعيم الحلية ج ٢ ص ٣٥ .

بنت حميد ودعا له[1] ، وأردف خلفه بعض الغلمان ، وخَصَّه برعايته ، ووجَّه عبره كل الأُمة مُبيِّنًا لهم حقوق الله عليهم وحقوقهم على الله .

يقول معاذ بن جبل رضى الله عنه : بينما أنا رديف النبى ﷺ ، ليس بيْنى وبينه إلَّا آخرة الرَّحل ، فقال : معاذ، قلت . لبيك يا رسول الله وسعْديْك . قال : هل تدرى ما حق الله على عباده ؟ قلت . الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، ثم سار ساعة ، ثم قال : يا معاذ بن جبل ، قلت : لبيك رسول الله وسعديْك . قال : هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسولُه أعلم ، قال : حق العباد على الله أن لا يُعَذِّبهم[2] .

وكرَّر عليه الصلاة والسلام هذا الأُسلوب التربوى مع آخرين كان من بينهم سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، يقول ابن عباس : كنت رديف النبى ﷺ فقال : يا غلام أو يا غليِّم ألَا أُعلِّمُك كلماتٍ ينفعك الله بهن ، فقلت : بلى . قال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك تعرَّف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشِّدَّة ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جَفَّ القلم بما هو كائن[3] ، ولو اجتمع الخلق على أن يعطوك شيئًا لم يكتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه ، وعلى أن يمنعوك شيئًا كتبه الله عز وجل لك لم يقدروا عليه ، فاعمل لله تعالى بالرضى فى اليقين ، واعلم أن فى الصَّبر على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا ؛ وأن النصر مع الصبر ، وأنَّ الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرًا .

وكان من تربيته عليه الصلاة والسلام

---

(١) أخرجه البخارى راجع السمط المجيد ص٥٦ ونص الحديث : حدثنا أبو عقيل عن جده وكان قد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم وذهبت به أمه بنت حميد إلى رسول الله (ص) فقالت يارسول الله بايعه : فقال النبى (ص) هو صغير ، فمسح رأسه ودعا له .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن والحلية ج ١ ص ٣١٤ .

الشَّباب أن أكرمهم ، وعمل على بنـاء شخصيتهم ، وإبراز دوْرهم وتجسيد تقديره لهم ، فأفسح لهم المحال لمشاركة كبار الصحابة فى حلقات البحث العلمى ، وفى صلاة الجماعة ، وأعلا من شأنهم فخصصهم بالذكر وجعلهم من السبعة الذين يظلهم الله بِظِله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِله .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : سبعة يُظلهم اللهُ فى ظاه يوم لا ظل إلَّا ظلُّه : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلَّق بالمساجد ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عايه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب ، وجمال فقال : إنى أخاف الله ، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه[1] .

وأوكل لعتَّاب بن أسيد وكان ابن عشرين سنة – أو إحدى وعشرين – إمارة مكة وقضاءها[2] ، وكذلك فعل مع معاذ بن جبل. ومِمَّا يذكر أنه أوصى معاذًا حين توليته بقوله : يا معاذ إنِّى أُوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاءٍ بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والحزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلمًا ، أو تكذب صادقًا ، أو تعصى إمامًا عادلًا .. يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر ، وأحدث مع كل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية[3] وكان معاذ هذا على رغم صغر سنِّه موضع احترام وتقدير وإكبار صحابة رسول الله

---

(١) متفق عليه .

(٢) المغنى عن حمل الأسفار هامش ص ١٩٣ ح ١ .

(٣) رواه ابن عمر راجع حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى ح ١ ص ٢٤٠ – ٢٤١ وراجع المغنى عن حمل الأسفار ص ١٩٣ ح ١ ،

ﷺ ، حتى أنه ليذكر أنهم كانوا ينظرون إليه إذا تحدَّث بينهم نظر هيْبة له[1]

وتقديرًا من رسول الله ﷺ لدور الشباب أوكل لأُسامة – وكان دون العشرين – قيادة جيش المسلمين ، علمًا بأن فى الجيش من هم أسن منه ، وأقدم منه إسلامًا . وأتاح لهم فرص التعليم ، والتربية والاستقرار الأسرى ، وكان مما قال : ما من أحد يُدرك ابنتين فيحسن إليهما ما صحبتاه ، إلَّا أدخلتاه الجنة[2]

وتولى هو عليه الصلاة والسلام تربية بعض الشباب فى بيته ، فقام بتربية سيدنا على ، والسيدة عائشة رضى الله عنهما ، وكانا صغيرين. كما قام كذلك بتربية نسله الطاهر الشريف من البنين والبنات ، وتبنى بالإضافة إلى هولاء وأولئك عددًا من الشباب كان من أشهرهم زيد بن حارثة .. وكان لا يفتأ يُسبغ رعايته وعطفه ورحمته وأبوته على اليتامى والمساكين وأبناء المعْسِرين .. ومما يروى فى هذا الصدد أنه اتفق أنه قابل شابًا يائسًا وسط آخرين مبتهجين مسرورين فرحين فاصطفاه عليه الصلاة والسلام وقربه ، وأصلح من حاله وزيه وهيئته .. وقال له وهو يرفع من قدره : أما ترضى أن أكون لك أبًا ، وعائشة أم المومنين لك أمًا ، وفاطمة أختًا[3] ؟

وأناخ عليه الصلاة والسلام ناقته ليحمل معه عليها أسماء بنت أبى بكر الصديق ، حيث رآها مجهدة بالسير ، وبما كانت تحمله على رأسها من نوًى ، غير أن حياء السيدة أسماء وغيْرةَ زوجها ، جعلها تُؤثر المشى على الركوب[4] .

وأثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال

---

(١) أبو نعيم الأصفهانى : حلية الأولياء ح ١ ص٢٣١هذا وقد جعل الفخر الرازى صفة الهيبة من صفات الرئاسة ج ١٤ ص ١٥٠ عند تفسيره لقوله تعالى (قال الملأ من قومه إنا لنراك فى ضلال مبين) الأعراف آيات ٥٩ – ٦٤ .

(٢) محمد على فياض : التاريخ الإسلامى عصر الخلفاء الراشدين طبع مطبعة المتوكل بمصر سنة ١٩٤٩ ١٩٥٠ م ص ٩٣ – ٩٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٤) الغزالى : إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٧٦ – ٧٧ .

عن صغير كان وَفْدُ بنى سعْد هذيم من قضاعة قد خلَّفوه على رحلهم : أصغرُ القوم خادمهم ، بل لقد أَمَّر عليه الصلاة والسلام هذا الصغير على كبار الصحابة وزعماء الوفد ، إعلاءً منه عليه الصلاة والسلام لمكانة الخِدْمة الاجتماعية فى الإسلام[1] .

وإدراكًا منه عليه الصلاة والسلام لماللَّهو البرئ المتَّسق مع الخلق – من دورٍ نفسى ، وتربوى ، فى تقويم السُّلوك وتهذيب الطباع – أباح للنساء والرجال أصنافًا منه وضروبًا ، فكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تلهو وهى صغيرة فى بيت الرسول عليه الصلاة والسلام – بما يُدخل عليها المسرَّة ويطرد عنها الملل ، وحيث شبَّت وكبرت أتاح لها رؤية الحبش وهم يرقصون . تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : جاء حبش يزفون فى يوم عيد فى المسجد . فدعانى النبى ﷺ فوضَعت رأسى على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم . حتى كنت أنا التى أنصرف عن النظر إليهم

وروى مسلم عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تغنِّيان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم مُسَجّى بثوبه ، فانتهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، وقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد .

وفى رواية أخرى عن السيدة عائشة أنها قالت : دخل علىَّ أبو بكر وعندى جاريتان من جوارى الأنصار تُغَنِّيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث . قالت : وليستا بمغنِّيتين . فقال أبو بكر : أبمزمور الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وذلك فى يوم عيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لكل قوم عيداً وهذا عيدُنا .

وأورث عليه الصلاة والسلام الشباب مكارم الأخلاق ، إذ ربَّاهم على طاعة الوالدين ، والبر بهما ، ومراعاة شعورهما وإسباغ ثوب الرحمة عليهما . بل لقد آثر

---

(١) محمد أحمد حماد المولى : محمد المثل الكامل الطبعة الأولى بمصر ١٣٤٩ هـ – ١٩٣١ م ص ١٢٩ .

برهما حتى على الجهاد ، وقال لمن قدم إليه مبايعًا على الهجرة والجهاد : هل من والديك أحد حيّ ؟ فقال الشاب : نعم كلاهما حيّ ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : وهل تبغى الأجر من الله ؟ فأجاب الشاب : نعم . فقال عليه الصلاة والسلام : ارجع إليهما فأحسن صحبتهما .

وأرجع الرسول ﷺ شابًا قدم إليه للجهاد دون إذن والديه ورضاهما عن خروجه ، وبعد أن سمع منه قوله : يا رسول الله جئتُ أبايعك على الهجرة ، وتركت أبوىَّ يبكيان . قال عليه الصلاة والسلام : ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتَهما .

وحرصًا منه عليه الصلاة والسلام على مراعاة الروابط الاجتماعية أمر الأبناء بأن يوادوا من كان يواد أبويهم ، ويبروه ، ويواصلوه ، ويُحسنوا إليه فقال عليه الصلاة والسلام : إن أبر البر ، صلة الولد أهل وُدّ أبيه[1] .

وفى إطار العلاقات الاجتماعية أيضًا دل الإسلام الشباب وغيرهم على ما ينمِّى العلاقات الإنسانية بينهم فقال : ألا أدلكم على ما تحبون به أفشوا السلام بينكم ، أفشوا السلام تسلموا ، وقد اعتبر الإسلام السلامَ الذى يُلقيه الفرد لمن عرف ومن لم يعرف ، من أفضل القربات التى يكسب بها رضاءَ ربه ، ورضاءَ الناس . فقال عليه الصلاة والسلام : إن أفضل الإسلام وخيره إطعام الطعام ، وأن تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .. ورفع رسول الله ﷺ من قدر السَّلام فجعله من أحد شعب الإيمان حيث قال : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والإنفاق من الاقتار . وجعل عليه الصلاة والسلام المصافحة من تمام التحية ، فقال . تمام تحاياكم المصافحة .

أما الرد على السلام فقد عده الرسول ﷺ من موجبات الرحمة فقال : رحمة على القوم المسلمين الذين لا يردون تحية السلام .. وحذَّر عليه الصلاة والسلام كل المسلمين من أن يُعرضوا عن رد السلام ، فقال : ما من رجل يمر على قوم مسلمين

---

(١) رواه مسلم وأبو دواود والترمذى.

فيسلم عليهم . ولا يردون عليه السلام ؛ إلّا نزع عنهم روح القدس ، وردّت عليه الملائكة[1] .

هذا ومكارم الأخلاق التى بثها رسول الله ﷺ للشباب نظريًا وعمليًا ، وربّى عليها أمته أكثر من أن تُحصى فقد علّمهم السّماحة فى المعاملة ، والعفو فى العطاء ، والتضحية بالمال ، وبالنفس والوقت ، وحبّب إليهم عمل الخير ، وحثّهم على صلة الرحم ، وعلى زيارة الأحياء والأموات من المسلمين .

وجعل الصلاة وسيلة لتوثيق الصلة بين العبد وربه ، والحج هجرة إليه ، والزكاة تطهيرًا له ، والصوم إعدادًا له ، وتدريبًا . أضف إلى ذلك أنه حول بالنية كثيرًا من الأفعال العادية إلى عبادة .. فأصبح تبعًا لذلك التّعليم عبادة ، والزواج عبادة ، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة ، والتربية البدنية إذا خلت من شوائب الاختلاط ، واللبس الفاضح وغيرها عبادة .. وصارت معاونة الزّمنى والمرضى عبادة ، واحترام الصغير وتوقير الكبير عبادة ، ومشاطرة الحيران أفراحهم وأتراحهم عبادة ، حتى ولو كانوا يهودا أو نصارى أو غيرهم .. ومحبة الصالحين والتأسّى بهم وانتهاج طريقهم والانتظام فى سلكهم عبادة . والدعوة إلى الله بالمقال والمال عبادة .. وصار العمل الدنيوى مكتبيًا ، أو حقليًا ، أو صناعيًا ، أو غيره إذا ما روعى فيه المولى عبادة . وأصبحت نظافة البدن ، والمكان ، والوقاية من الأمراض ، والعلاج منها عبادة .. وتبسّم الفرد فى وجه أخيه ومعاونته له عبادة .

وعمومًا فقد ربط الإسلام بمنهجه التربوى بين القيم الدينية والممارسات العملية ، نسما بالفرد اجتماعيًا ، وحضاريًا ، وعقليًا ، وروحيًا ، وخلق منه شخصية متميزة ، استطاعت أن تُبلور شئون الحياة بما يتمشّى والدين ، وتبعًا لذلك أصبحت نعمة فصل الدين عن الحياة أسطورة لا صلة لها بفكر الشاب المسلم ، وعقيدته .

---

(١) نصر على عبد الهادى . التحية فى الإسلام طبع المطبعة الكمالية بعابدين ص ٨ ، ١٢ .

كان الإسلام إذن فتحًا إيجابيًّا على الإنسانية وطاقة دافعة لها نحو الرقى ، والكمال والروعة . كان ومايزال هو الدين العملى الوحيد الذى يتفاعل إيجابيا مع قضايا الشباب فى كل العصور . والأزمنة والأمكنة ، هو دين ماضى الأمم . وهو دين حاضرها ، ومستقبلها .

لقد سمت تشريعاته الإلهية على كل تشريع فاستأصل بحكمته جذور الجرائم ، ونشر ألوية العدل . وساوى فى الحقوق والواجبات بين كل الأفراد . بل لقد حيا غير المسلمين من العدل والرحمة ، والمساواة مالم يكونوا يتصورون حدوثه فى مجتمعهم الدنيوى ، ومن ثم كان حرص غير المسلمين على دولة الإسلام يماثل حرص المسلمين عليها .

حسن الفاتح قريب الله
عضو المجمع المراسل (من السودان)